وأتقدم بخالص شكرى وتقديرى لفريق مركز الحضارة للدراسات السياسية، وهم: أ. مدحت ماهر، أ. محمد كمال، أ. شيماء بهاء الدين، أ. سمية عبد المحسن، وأ. راضية عبد الشافى، الذين كان لهم إسهامٌ كبير فى إخراج هذا العمل.

●●●

المشهد الأول

المشهد الثوري من ميدان التحرير.. مشهد حضاري

(٢٥/١ - ١١/٢/ ٢٠١١م)

مع معايشتي لوقائع المشهد الثوري ساعة بساعة، تداعت أمامي مشاهد سابقة ذات دلالات حضارية، أريد أن أبدأ بها قبل أن أسطر كلماتي عن نموذج الثورة كنموذج حضاري بعد أن أدركت المشهد الثوري كمشهد حضاري:

- لقد هرمنا، لقد هرمنا، كلمتان ذرفهما مواطن تونسي خلال الثورة أو بعد رحيل زين العابدين، لاأعرف. ولكن لا تكف وسائل الإعلام عن إذاعتها.

ولكن.. هل هرم هذا الرجل ولم يعد قادرًا على متابعة تنفيذ الثورة؟ أم هرم ليقوم بها؟

إذًا، الشباب مطلوب، ولكنهم ليسوا بمفردهم الأمة، سواء عند الثورة أو فى بدايتها.

- نحن نكتب ونقول لمن لا يسمع ولا يفهم: أين مردود ما نفعل كقوى معارضة فكرية وسياسية ومدنية؟ كلمات كنت أقولها للدكتور سيف

الدين عبد الفتاح حين يستحكم بي اليأس، وأنا أرى غي النظام يزداد ولا يستمع لأحد، لدرجة أوصلت بعض كبار الناشطين والمفكرين إلى التساؤل عما سيكسر الحلقة الفارغة وكان رد د. سيف دائمًا: نحن لا نتجه للنظام فقط ولكن للجماعة وللأمة، ونحن نبذر بذور هنا وهناك ولا بد أن يثمر بعضها بإذن الله ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ [الرعد: ١٧].

إذًا، لا يضيع الله -عز وجل- أجر من أحسن عملا، وصدق حديث الفسيلة لرسول الله ﷺ.

- كنا نخطط لعدد من أعداد أمتي في العالم، وضعنا له عنوان «خطة استراتيجية للإصلاح»، وفي اجتماع مع المستشار طارق البشري لمناقشته استعدادًا لتنفيذه قال: من الذي سيخطط ومن الذي سينفذ، من مناط التخطيط الاستراتيجي وتنفيذه؟ وبعد حوارات معمقة وصلنا إلى أن الإنسان مناط الإصلاح ومناط التغيير، بل مكمن التغيير الحضاري.

- تذكرت خلاصة أساسية من خلاصات ندوة مهمة عقدها مركز البحوث والدراسات السياسية ٢٠٠٦، لتحليل نتائج انتخابات مجلس الشعب، وهي أن شعب مصر عليه أن يدفع ثمن الحرية والديمقراطية، وأن كسر الجمود السياسي لن يتحقق إلا إذا تحرك الشارع، ولكن متى؟ وكيف؟

هل خروج الشارع هو خروج الفقراء والمهمشين فقط طلبًا لاحتياجات اقتصادية؟ وماذا سيحدث عندئذ مع ثورة للجياع والفقراء؟.. ولم يتحدث أحدٌ حينئذ أن الحرية مطلب للجميع، أغنياء وفقراء، وأنه لا حرية بدون عدالة اجتماعية، وأن خروج الفقراء قد لا يكون عنيفًا أو مدمرًا أو انتقاميًا.

- مع هموم الوطن تبتعد الهموم الخاصة، ومن تبدد الغيوم عن أحزان الوطن وظهور بشائر الضوء تنجلي ظلمات الحزن الخاص. فلقد أخرجتني أحداث الثورة من إسار حزني على فقدان زوجي قبل أسبوعين من اندلاعها، أخرجتني إلى مجال عام حي نابض يبعث على التفاؤل من جديد.

إذًا، من الخاص إلى العام مبعث التجديد والإحياء للذات وللأمة..

فلقد تراكمت عليَّ هذه التداعيات الخمس عبر الأيام الأولى من الثورة: روح الشباب ماذا ستنجز؟ بدأت ثورة والعمل الصالح يثمر ولو بعد حين، الإنسان مناط الإصلاح والتغيير، كيف سيفجر الشعب ثورة وما نمطها؟

وعايشتها -الثورة- يومًا بيوم، ولكن عن بُعد، لم أخرج إلا يوم ٩/ ٢ لاجتماع قسم العلوم السياسية؛ ليصدر بيانًا حول الثورة، وكذلك يومي ٨، ١٠/ ٢ في المظاهرتين الحاشدتين اللتين نظمهما أعضاء هيئة تدريس الجامعات المصرية. ودخلت بعد الأولى إلى ميدان التحرير وخجلت من نفسي.. أجئت متفرجة؟ ماذا يمكن أن أفعل بعد كل ما فعل المعتصمون والمتظاهرون كل جمعة؟ فخرجت حالا بعد أن أجريت عدة كلمات مع

بعض المعتصمين، فلقد ازداد خجلي من نفسي وقد هرمت لأتحرك معهم. ولكن هل هرمت لأفكر وأكتب؟ وهل يحتاجون لمزيد من الكتابة والفكر بعد أن بدأوا الحركة الفاعلة؟

فحتى ذلك الحين كنت أختزن حصيلتي كإنسانة وكأستاذ علوم سياسية، من متابعة وقائع الثورة وما كُتب عنها وما نُقل عنها عبر وسائل الإعلام وشهادات مباشرة من زوج ابنتيَ ومن أبنائي الطَلبة ثوار ميدان التحرير.

ظللت أراكم مخزوني من موقع نحن (خارج ميدان التحرير، الذين لم يذهبوا أبدًا، ولو لزيارة مساندة) وأبناؤنا في قلب ميدان التحرير الذين فجروا الثورة وانضموا إليها في الشارع وبقوا في ميدان التحرير يرفعون المطالب ويدافعون عن الأرض والكرامة والشرف، بل يدافعون عنا جميعًا.

هكذا تفاعلت مع الثورة، عن بعد مكاني وليس روحي أو نفسي. ولأول مرة، عبر خبرتي كأستاذة علوم سياسية، لم أستطع أن أكتب سريعًا عن حدث سياسي مهم عايشته، فلقد كنت أبادر دومًا بالكتابة عما أتفاعل معه حضاريًا؛ حصار غزة والعدوان عليها وحرب لبنان على سبيل المثال.

ولكنني وأنا أعايش الوقائع في بلدي ساعة بساعة، لم أستطع الكتابة. لماذا؟ لم أعرف الإجابة إلا حين بدأت الكتابة المتقطعة المتراكمة منذ يوم ٢/ ٩، ثم تسارعت الكتابة وشعرت بالحيوية بدرجة أكبر حين نزلت لأول مرة إلى ميدان التحرير بعد خلع الرئيس مبارك وإخلاء المعتصمين للميدان، حينها وأنا أمشى على الطرقات التي نام عليها المعتصمون وتناقشوا وتحاوروا

وتضامنوا وصمدوا وقاتلوا واستشهدوا، ثم شهدوا لحظة انتصارهم الكبير في مساء يوم الجمعة ١١/ ٢، حين نزلت ١٦/ ٢ إلى «الميدان» (هكذا أضحى الجميع يطلقون عليه) شعرت بالخزي لأنني لم أكن موجودة، وشعرت باستعجاب أكبر حين بدا لي «الميدان» (شكليًا) كما بدا لي مرارًا وتكرارًا من قبل، فلقد تم إزالة آثار ملحمة الثمانية عشر يومًا!!! لماذا هكذا وبسرعة وبأيدي أبنائنا ذاتهم!!!. كذلك شعرت بالقلق والترقب، وحدثت نفسي بأن الثورة كما بدأت على نحوٍ غير معتاد فهي مستمرة على نحوٍ غير معتاد أيضًا، فلم تعد في ميدان التحرير فقط ولكن عبر كل مصر.

هكذا يصبح للأمكنة والأزمنة دلالاتها الحضارية.

وتسارعت وتيرة الكتابة أكثر حين تسارعت وتيرة تفاعلاتي، ولكن المباشرة هذه المرة وفي مركز الحضارة ١٣ ميدان التحرير، مع مجموعات ممن شاركوا، بأشكالٍ ودرجاتٍ مختلفة في ميدان التحرير، ابتداءً من ائتلاف شباب الثورة إلى بعضٍ من شباب الثورة وبعض الناضجين، بل ومن هرموا ولكن ظلوا في الميدان.

هكذا اكتملت حلقات تفاعلي مع الوقائع حين اقتربت من بؤرة الحدث ومن صانعيه، حين تفاعل الوعاء مع محتواه. واكتشفت أنه لم يمكنني الكتابة عما مثله ميدان التحرير دون أن أكون فيه أو معه بدرجة أو بأخرى.

هكذا بدأت بالكتابة ناقلة حصيلة عملي الفكري؛ لفهم وتحليل ما حدث وما سيحدث لعلي أسجل إضافة في إدراك وفهم هذه الظاهرة الثورية

على ضوء منظوري الحضاري، وحتى يصبح فكري وفكر غيري سنداً لحركة الثورة حتى تستكمل تحقيق أهدافها.

إذًا، ماذا بعد التداعيات الذاتية عن هذه المشاهد؟

وماذا بعد هذه الشهادة الذاتية؟ ما المشهد الثوري المقصود؟ ولماذا هو مشهد حضاري؟ وما النموذج الذي يجسده هذا المشهد؟

إن المشهد الثوري المصري: بؤرته ومحوره وجوهره ميدان التحرير ووعاؤه الوطن كله..

وهنا، أقتبس أو أقترب من مقولة شهيرة لطارق البشري: فلسطين وعاؤها القدس، فهل تصبح الثورة في ميدان التحرير وعاءً لكل مصر بعد أن احتضنت مصر كلها الثورة من ميدان التحرير، وبعد أن امتدت الثورة من الميدان إلى كافة أرجاء الوطن، ومن ثم فالمشهد الثوري هو مشهد الثورة في مدن مصر. فلقد مثل ميدان التحرير وجسد كل مصر، كما صبت مصر كامل عافيتها في ميدان التحرير عبر ١٨ يومًا. وهكذا أيضًا يصبح للأمكنة والأزمنة دلالة حضارية.

إذًا، كيف مثل هذا المشهد الثوري مشهداً حضاريًا؟

إن الثورات بصفة عامة، وفقًا للنماذج التاريخية الشهيرة، وكما قدمتها الأدبيات الفكرية والنَظرية هي نماذج صراعية تتسم بالعنف وإقصاء الآخر غير الثوري، تعكس منظوراً واقعيًا نفعيًا ماديًا استعلائيًا من صميم النموذج المعرفي الوضعي المادي النفعي العلماني.

أما المشهد الثوري المصري، كما سنرى تفصيلا، فهو يختبر كل مفاهيم علم السياسة التقليدية، عن القوة والسلطة والنفوذ والسيادة، ودور القوى والكيانات السياسية والثورة، وعلى نحو تخطى وتجاوز كل ما تم تداوله خلال العقدين السابقين من مراجعات تحت أَثر العولمة.

ومن ثم، يقدم المشهد الثوري المصري نموذجًا حضاريًا شارحًا ومختبراً منظوراً حضاريًا ينطلق من نموذج معرفي إيماني قيمي إنساني، وهذا النموذج الحضاري ذو صيغة كلية شاملة متكاملة وحاضنة بين أبعاده حيث يضفر بين مجموعة من الثنائيات متجاوزاً لكل منها إلى ما هو أرحب: الجزء/ الكل، الداخل/ الخارج، الفرد/ الجماعة، الجماعة/ الدولة، المدني/ السياسي، السياسي/ الاقتصادي، الفكري/ الحركي، الإيمان/ العمل، القيم/ المصالح، الروح/ العقل..

ويتكون هذا النموذج من شبكة تفاعلات عضوية تعكس نمطًا منتشراً من السلطة وتعارفًا وحواراً؛ سعيًا نحو وحدة في إطار التعدد والتنوع (التعارف/ الخلاف، الحوار/ الصدام، التنوع/ التنميط).

ومن ثم، فأركان ومفاصل هذا الحضاري ثلاثة: منظومة قيم، هيكل وبنيان، تفاعلات وعمليات.

كما أن ذلك المنظور يجسد كل المراجعات المعرفية والنظرية والمنهاجية التي تموج بها النظرية الاجتماعية ونظريات العلوم الاجتماعية الحديثة منذ أكثر من عقدين. ولم يكن الوعي الجمعي الأكاديمي بهذه المراجعات قادراً

على أن يُحدث انقلابًا في منظور التيار السائد في هذه العلوم والذي مازال ينحاز أكثر إلى المنظور الواقعي. فكيف يستطيع واقع الثورة في مصر أن يقدم نموذجًا حيًا على هذا المنظور الحضاري؟ وكيف ستختبر التطورات مصداقيته وصلاحيته في مواجهة المنظور التقليدي؟

إذًا، ما ملامح هذا المشهد الثوري التي تجعله حضاريًا؟ وما النموذج الذي يجسده؟

١- هذا المشهد يمكن إيجازه ابتداءً في الآتي:

(أ) اجتماع الأمة (الجماعة الوطنية) على مساندة الفعل الثوري الذي فجره ونفذه شباب الأمة، وكانت استجابات هذا الشباب للتهديدات وكذلك مبادراتهم وآليات فعلهم الثورية إبداعية، تعكس نموذجًا حركيًا جديداً في الثورة على نظام شاخ وجمد على أساليب تقليدية صراعية.

(ب) اجتماع الأمة -الجماعة الوطنية- نحو وجهة واحدة وبتوجه مشترك خلق تيارًا رئيسًا وإن تعددت روافده: العمرية، والنوعية، والفئوية، والاجتماعية، والفكرية والأيديولوجية، هذا التيار عبر عن نفسه بأساليب حضارية: إيمانية، إنسانية، سلمية، تعارفية، حوارية، تضامنية، تكافلية، عقلانية، جهادية؛ خدمةً لمنظومة من القيم الدافعة والرافعة: الحرية، الكرامة، والعدالة الاجتماعية، وذلك كأساس لتحقيق المصالح الوطنية، كما يحددها توافق الشعب ورضاه العام.

بعبارة أخيرة، يمثل هذا المشهد لحظة تاريخية كشفت عن المخزون الحضاري الكامن في الأمة، فبعد يأس من ناحية ورهان على جمود الشعب من ناحية أخرى، قامت ثورة شعبية فريدة من نوعها في تاريخ الثورات الكبرى؛ ولذا فهي بإذن الله ستمثل منحى جديداً في تاريخ الجماعة الوطنية المصرية والأمة العربية والإسلامية بل والعالم أجمع، إذا ما تحقق البناء الجديد الشامل على أسس هذه المنظومة الحضارية الإنسانية الكلية الشاملة التي كشفت عنها الثورة (الخيرية المشروطة).

٢- إن ملامح هذا المشهد الكلي تكونت وتبلورت عبر مراحل تطور الثورة منذ ٢٥/ ١ وحتى خلع الرئيس مبارك ١١/ ٢، ومن خلال عمليات تفاعلية بين الفواعل الرئيسة في المشهد، مر عبرها المشهد بحلقات مفصلية اختبرت ماهية مواقف هذه الأطراف وكشفت عن حقيقتها الصراعية اللاإنسانية الدموية الأنانية لدى فواعل النظام، وعن حقيقتها الحضارية لدى فواعل الثورة، وعن ألطاف الله ونصره ومدده للثوار عند كل بادرة وهن أو شك. ولعلنا لسنا في حاجة للتذكرة بمفاصل تطور الثورة ومراحلها، فهي في قلب وعقل كل مصري، إلا أننا سنحددها على النحو التالي:

- **مرحلة(١): من الثلاثاء ٢٥/ ١ إلى جمعة الغضب ٢٨/ ١**: مرحلة الشهادة والتمركز في ميدان التحرير ورفع المطالب وحشد مساندة الثوار، وصولا إلى جريمة وخيانة الانفلات الأمني، بل الانهيار للجهاز الأمني هيكليًا ووظيفيًا وأخلاقيًا، وبداية رضوخ مبارك للمطالب (التغيير الوازري

واختيار نائب للرئيس) ولكن في ظل ترويج النظام الشكوك عن مسئولية الثورة عما حاق بالبلاد من انفلات أمني وما يتهددها من ضرر اقتصادي.

- **مرحلة(٢): من السبت ٢٩/ ١ إلى الثلاثاء ١/ ٢**: اتساع نطاق الثورة في ميدان التحرير وصمودها، وبروز اتساع قاعدتها مع ثلاثاء المليونية الأولى ١/ ٢/ ٢٠١١.

ثم الرضوخ الثاني لمبارك بالإعلان عن عدم ترشحه، والإعلان عن الحوار الوطني من أجل تعديلات دستورية حتى انتهاء فترة رئاسته، على نحوٍ أبرز مناورة النظام والتفافه لكسب الوقت لإجهاض الثورة.

- **مرحلة(٣): من الأربعاء ٢/ ٢ إلى جمعة الرحيل ٤/ ٢**: من الهجوم على ميدان التحرير (موقعة الجمل) هجومًا بربريًا بالبلطجية المأجورين وبالجمال والخيول وبالمولوتوف والقناصة، وهو الهجوم الذي تم صده بثبات وروح بطولية جهادية فائقة وباستراتيجية دفاع وهجوم إبداعية، إلى تحول القطاعات الرمادية أو المؤيدة لمقترحات مبارك نحو مساندة الثورة بعد مشهد الهجوم البربري على ميدان التحرير وما جسده من أساليب النظام الفاسدة، إلى استماتة عصابة أخرى من عصابات النظام في الدفاع سياسيًا عن بقاء مبارك حتى نهاية ولايته، تحت وهم إجراء إصلاحات دستورية وقانونية، وتحت فزاعة ما أسموه مخاطر الفراغ الدستوري على استقرار البلاد.

- **مرحلة(٤): من جمعة الرحيل ٤/ ٢ إلى ثلاثاء المليونية الثانية ٨/ ٢، وصولا إلى جمعة الصمود ١١/ ٢**:

عدم تنحي مبارك وتزايد فزاعات النظام الموجهة للرأي العام (تحركات إسرائيل، الاقتصاد، فزاعة الإخوان) على نحوٍ أثار مخاوف بانتكاسة الثورة، وحتى كان اتساع نطاق المظاهرات خارج ميدان التحرير ومن مراكز انطلاق متنوعة دعمًا لصمود الثورة في ميدان التحرير.

فقد كان التأكيد أن ميدان التحرير يمثل مصر كلها. وامتدت هذه المظاهرات الفئوية والنوعية عبر أرجاء العاصمة وفي الأقاليم، واقترن بها امتداد ثوار ميدان التحرير خارجه لمحاصرة مجلسي الشعب والشورى والإذاعة والتليفزيون ووزارة الخارجية، إضافةً إلى التوجه نحو قصر العروبة في مصر الجديدة.

ولم يقابل مبارك هذا الواقع، وفي الخميس ١٠/ ٢ (وبعد سيناريو غامض من التصريحات المتناقضة) إلا بقدرٍ من الرضوخ المتأخر لبعض مطالب الشعب والتي كان يمكن أن يقبل بها منٍ قبل وهي تفويض السلطات إلى نائبه، كاشفًا بذلك عما تبقى من وجه النظام القبيح متحديًا كل هذه الإرادة الشعبية المتنامية، فما كان إلا أن خرجت جموع هادرة من الشعب (ما قُدِّر بنحو ١٦ مليون مصري عبر أرجاء مصر) وكانت ثورة في كل شوارع مصر تساند ثورة مصر من ميدان التحرير.

وفي جمعة الصمود ١١/ ٢، وبعد تخلي الرئيس عن سلطاته، سجد الناس شكرًا وهتفت جموعهم: الله وحده أسقط النظام، مبرزين البعد الإيماني الذي غلف كل أبعاد المشهد الثوري الحضاري وصبغه بصبغته. وتشارك في هذا البعد الجميع: المسلمون والمسيحيون، الإسلاميون وغيرهم ممن لا يلتفتون عادةً إلى الله في فكرهم أو حركتهم السياسية، فلقد بينت وقائع الثورة كيف أن للإيمان مردودات سياسية واجتماعية على أرض الثورة.

٣- وتزداد الدلالات الحضارية في المشهد الثوري وضوحًا وكذلك الحاجة إلى منظور جديد للنظر إلى الثورة، بالاقتراب من تفاصيل المشاهد الفرعية وبعض ملامحها الخاصة بمنظومة القيم والمكونات والعمليات، وذلك على ضوء مجموعة من الأسئلة الكبرى التي شحذت الهمم للحوار والنقاش:

(أ) من قام بالثورة؟ ثورة من؟ ومن يديرها (قيادة الثورة من الشباب وآلياتها وأدواتها في ميدان التحرير وتجاه الوطن: التحديات والاستجابات المتتالية بين النظام والثورة)؟

(ب) أين الأحزاب والقوى السياسية والجيش من الثورة؟

(ج) أين الخارج؟

(أ) ثورة شعب فجرها الشباب: من قام بالثورة، ثورة من؟ من يديرها؟ (القيادة، الفكر، الآليات، الأدوات)

بدأت يوم ٢٥ يناير مظاهرات شباب مصر التي تحولت إلى ثورة للشباب

أولا، إذ فجروها بأساليب إبداعية عصرية، وقدموا مطالب طالما قدمها الشارع المصري ولكنهم قدموها في ثورة غاضبة سرعان ما التف حولها الشعب المصري بكافة فئاته، وخاصةً غير المنتمين حزبيًا أو أيديولوجيًا وهم الغالبية، وكما اندمجت خلالها المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واندمجت خلالها التيارات السياسية والفكرية المتنوعة وطبقات الشعب المصري في مشهدٍ فريد.

ومن ثم، فهي ثورة شعبية ذات طبيعة خاصة فريدة فجرها شباب مصر، وبدأت بآليات جديدة غير تقليدية، وتسارعت ونَمَت أيضًا بأساليب غير تقليدية أخرى وعلى نحوٍ غير مسبوق، حيث أمدها الشعب المصري بالزخم.

وتظل ثورة وطنية من داخل مصر وبأبناء مصر ونحو مصلحة مصر.

ومن ثم، فإن اجتزاء الثورة في كونها مجرد ثورة شباب الغضب، هو اجتزاء غير بريء ومخطط له؛ سعيًا لعزل شرارة الثورة عن خزانها، والوقيعة بين الشباب وقوى المساندة والتأييد من الداخل والخارج.

ولكن هل كانت ثورة بلا قيادة؟ ثورة بلا رأس ولا أذرع أو ذراع عسكري؟

هذه أسئلة من المنظور التقليدي تنظر للثورة من منظار تقليدي للثورات عبر التاريخ.

إلا أن وقائع الثورة، كما سمعت عنها وقرأت عنها من أكثر من مصدر وعلى أكثر من مستوى (شباب قاد أو شارك وكبار شاركوا، حوارات إعلامية، شهادات حكماء. .)، قدمت لي إجابات أخرى منذ أول أسبوع في الثورة وخاصةً منذ الجمعة ٢٨/ ١، وتراكمت هذه الإجابات عبر أربعة أسابيع حتى تأكدت الرؤية وثبت الموقف. وهذه الإجابات تتمثل في أنها: ثورة لها قيادة غير تقليدية بدأت بحركة من مجموعات من الشباب نسقت وترابطت فيما بينها، رغم اختلاف توجهاتها، وتفاعلت تفاعلا حيًا على الأرض وسط الناس انطلاقًا من آليات العصر الجديدة.

إذًا، هي ثورة ذات عقل جديد وجسد جديد وأذرع جديدة، لا يمكن فهمها إلا من خلال منظور جديد، ثورة فجرها الشباب، من واقع رصدهم ومعايشتهم للجمود الذي أحاط بأهاليهم، ومن ثم فهي لم تكن ثورة على النظام السياسي فقط، ولكن ثورة على ثقافة الجمود والتواكل والخوف التي انخرط فيها الجميع تحت وطأة استبداد النظام وتحت وطأة الجهل والفقر.

إذًا، روح الثورة شابة عاقلة تفكر وتتحرك مؤمنة ثابتة، قادرة على الفعل التشبيكي (الجماعي غير التقليدي)، قهرت الجمود والتواكل والخوف أولا، فاستطاعت أن تتحرك، ثم أن يتجمع حولها الأهل. فالشباب لم ينسوا أنه لا يمكن أن يبقوا بمفردهم، فهم ليسم نخبة تقليدية جديدة تريد أن تقفز وتسيطر وتزيح من عداها بنفس النمط التقليدي للسلطة وللصراع، ولكنهم أدركوا بوعيٍ أنها ليست ثورتهم بمفردهم ولا يمكن أن تظل هكذا. . ولذا؛

فإن شعار «يا أهالينا ضموا علينا، انزلوا من بيوتكم علشان تأخذوا حقوقكم» كلمات صادقة رفعوها منذ أول يوم في الثورة، يفكرون في «الأهل» ويحتاجون أو يحفزون على «الضم» وبصيغة الجمع (نا) ويعرفون أن لا أحد يعطي لأحد حقوقه طواعيةً، كذلك تضامنوا تكافلوا تكاملوا خلال الفعل الثوري، وبطريقة سلمية وبتفاعلات تلقائية، ولكن تنتظم بوشائج وحدة الهدف وتتناغم بدون (مايسترو) إلا الوازع الداخلي.

وهكذا، تكاملت حلقات الفاعلية الذاتية (بين الثوار) من ناحية والبينية من ناحية أخرى (مع أهلهم ومجتمعم بكل فئاته) فلقد كانوا من فئات مختلفة أيضًا وليس فئة واحدة، كما توزعت أدوارهم كل لما يسر له: على الشبكة العنكبوتية، أو على الأرض:

إن هذا الوضع يمثل «سلطة جديدة» تنتظم تلقائيًا وبدون قيادة شكلية مع تنوع في الروافد ولكن في تناغم وتراكم في الحركة، وهي إنما تعكس نموذج «لانتشار السلطة»، وهو:

نموذج «السلطة» التي شرحها أ. د. حازم حسني منذ عشر سنوات في مقال رائع له تحت عنوان: «اللقاء بين وثار الحاسب والعلم الاجتماعي عند ملتقى عصر قيصر بعصر المعلومات».

كما أن خزان الأمة وبالرغم من كل آفات الاستبداد التي فككت أوصالها لتتمكن من الفساد والاستمرار، هذا الخزان أخرج ما بقى فيه من

مخزون حضاري لم يتم تبديده انتظارًا لهذه اللحظة التاريخية التي هي تجسيد لسنة من سنن الله من دفع الله الناس بعضهم ببعض، سواء بدأت «الشرارة» من الحكماء أو من فورة الشباب.

هكذا، يجب أن نفهم هذا النموذج -الإيماني العمراني الحضاري- والأهم أن نفهم جانبه الإيماني بالمعنى الواسع. فالإيمان بالحق وبضرورة كسر الظلم وتحرير الإرادة هو إيمان متعدد المرجعيات، وتتوافق على قيمه مختلف المرجعيات، وإن تعددت أساليب تحقيقه، عنفًا أو سلمًا.

ولقد اختار الثوار وحضنهم وخزانهم، وفي أكثر اللحظات حرجًا، ثباتًا وإيمانًا بعدم التراجع أو الفر خوفًا أو هلعًا، اختاروا الثبات والكر على الدوام.

وفي حين انحاز كبار الحكماء -الذين يترسب فيهم الخوف من بطش النظام وسوءاته- إلى درء الخطر عن الشباب وتوخي السلامة والقبول بالتدرجية، فإن روح الشباب الثابتة والمؤمنة لم ترض بديلا عما خرجت من أجله وخرج أهاليهم معهم من أجله. ولهذا؛ فإن الفترة منذ ٢٥/ ١ وحتى ١١/ ٢، كانت نعمة من الله، والحمد لله تبدت خلالها ألطاف الله بالثوار وبخزانهم، نعمة ورحمة ومساندة، كما أن امتداد الفترة تبدى خلاله غي وطغيان وجبروت الفرعون (أنا وما بعدي الطوفان)، مما أفرز اهتزاز أركان نظامه العاتي، ليس أمام قيادة عسكرية أو قوى سياسية ساعية إلى السلطة، ولكن أمام ﴿ **فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف: ١٣] خرجوا من أجل الحق، وثبتوا ولم يخشوهم ﴿ **الَّذِينَ قَالَ**

لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وبذا، لم ينجح الثوار في إسقاط مبارك فقط، ولكن قبل ذلك نجحوا في إسقاط كل القيم السلبية: قيم الخوف والدعة والسكينة والسكوت عن الظلم توخيًا للسلامة، وكذلك قيم الاختلاف والفرقة والتنابذ بالألقاب والأيديولوجيات، وكذلك قيم تفكك الأسرة والمجتمع وقيم الفساد وعدم النظام وعدم المبادرة..

نعم كسروا أول حلقة في هذه المنظومة من القيم التي عششت في المجتمع وحالت دون إمكانية أي إصلاح أو تغيير حقيقي، لأنها نالت من الإنسان ومن الجمعية، ومن الإيمانية، فما كان يمكن أن تثمر أي خبرة إصلاحية.

وكانت اللحظة التاريخية للثورة وجذوتها (٢٥/ ١/ ٢٠١١) تجسيدًا لهذا المعنى لمنطلقات التغيير. حقيقةً لم يتوافر لها رأس واحدة ولا أذرع عسكرية أو سياسية تقليدية، والحمد لله، ولكن توافر لها انتظام إرادي خفي يفسره البعض بالأسباب، ويفسره المجموع بـ«ألطاف الله» ونصره لمن أخذ بالأسباب وعلى رأسها الإيمان والثبات محيطين بالعمل المنظم الواعي والعملي.

إذا فهمنا هذه الروح، نفهم لماذا فشلت الأساليب التقليدية (الحوار الوطني بين رموز النظام وبين القوى السياسية التقليدية) في الالتفاف على الثورة ووأدها قبل خروج مبارك.

وهذا الفهم لطبيعة الثورة (روحًا وعقلا وحركة) ضروري بدرجة أكبر وعلى درجة أخطر من الحيوية لنعرف: لماذا لم يكن متوقعًا ألا تحقق الثورة أهدافها الكبرى؛ تغيير هياكل النظام، مرة واحدة أو عقب خروج مبارك مباشرةً وبسرعة، حيث إن أركانه الواهية مازالت قائمة تحاول أن تتلاعب بروح الثوار ومخزونهم الحضاري لتوئد هذه الجذوة الجديدة.

لأن هذه الجذوة هي مكمن كل تغيير حقيقي، وأقصد بهذه الجذوة منظومة القيم الدافعة والرافعة، والشارحة.. والتي جسدت (الأمة، الحضارة، الجهاد، . .).

وهذا الفهم ضروري أكثر وأكثر لنعرف أن استمرار الثورة وحتى تحقيق أهدافها العلوية (المتصلة بالهياكل السياسية) لن يتحقق بتغييرات علوية فقط ولكن يحتاج أيضًا إلى تمتين ودعم وتوسيع قاعدة منظومة قيم الثورة بين «أهالينا» لتغيير ثقافة المجتمع نحو نموذج الثورة في مقابل وتضاد مع نموذج «النظام»: أي نحو النموذج الإنساني التعارفي الحواري العمراني في مقابل النموذج الفرعوني الطاغي الإقصائي المادي اللاإنساني، وهو النموذج الذي تنتظم وفق منظومة قيمه العملية الصراعية السياسية «العلوية».

بعبارة أخيرة، فلتكن ثورة بلا قيادة تقليدية، ولكن لتظل ثورة بروح جمعية توافقية تحرث الأرض بأيدي مبادرات أبنائنا، وليستمر هذا الحرث لإعداد أجيال جديدة ذات روح جديدة مهما تنوعت اتجاهاتها السياسية،

وحتى تتشكل هياكل علوية جديدة تستطيع أن تنظم وتفعل العمل السياسي، وفق نفس الروح، حيث إن المدني والسياسي لا ينفصلان وإن كان التمييز بينهما ضروري، لأن لكل دور ولكل احتياج في ظل نمط علاقة رشيدة تقوم على التكامل وتوزيع الأدوار وليس على التضاد والتنافر والاستبدال (تجسيد آخر للرؤية الحضارية: النموذج الإنساني العمراني الحضاري للتغيير في مقابل النموذج الفرعوني).

(ب) النظام والقوى السياسية الحزبية وغير الحزبية: المآل والفرص: الحاجة إلى عقل وفكر وحركة جدد:

إن قوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**﴾ [الحشر: ٢]، وقوله: ﴿**لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**﴾ [الكهف: ٩٣]، تصدق على قوى النظام السياسي (الحزب الديمقراطي، الداخلية، الرئاسة، . .)، والتي جسدت النموذج الفرعوني.

أما قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فيصدق على القوى الحزبية المعارضة والإخوان.

لقد تبلورت دلالات طبيعة الثورة على مستوى آخر، وهو المواجهة مع النظام والعلاقة مع القوى السياسية التقليدية.

فلقد تحقق للثورة ابتداءً من الجمعة ٢٨/ ١، وتأكيدًا منذ الأربعاء ٢/ ٢ شرعية سياسية واضحة، بل يرى البعض (د. الغتيت) أنها أيضًا ذات شرعية دستورية.

فالثورة هي ثورة شعبية والشعب صاحب السيادة، وقد استرجعها وعادت إليه السيادة وحافظ على أمن الوطن والمواطنين، حيث أعلن أن هذه ثورة سلمية ولم يلجأ للتخريب والتدمير، ولكن تعرضت البلاد لهذا النوع من التدمير والتخريب جراء ممارسات النظام ضد المظاهرات والمتظاهرين، ثم مع الانسحاب الأمني والمؤامرة الأمنية والسياسية وراء فتح السجون والهجوم على ميدان التحرير.

النظام القائم الذي اهتزت أركانه يوم الجمعة ٢٨/ ١ وفقد تمامًا كل ما كان قد تبقى له من شرعية دستورية وسياسية ٢/ ٢، لم يستجب أبدًا لمطالب الشعب، وظل يناور حفاظًا على ما يُسميه الشرعية الدستورية، مدخلا البلاد كلها في أكذوبة الحوار أو التفاوض في ظل ما أسماه مرحلة انتقالية، مستعملا كل أساليب المناورة، رافضًا أن يقرأ الواقع، بل ساعيًا للالتفاف عليه لضرب الثورة وباسم الحفاظ على الشرعية الدستورية التي لم تتحقق له أبدًا إلا شكلا.

ولذا؛ شتتت فلول النظام الانتباه والقوى السياسية في تدارس ما سمى البدائل الدستورية والسياسية لما أسماه النظام الاستجابة لمطالب المتظاهرين، وأدخل البلاد في أزمة أشد استحكامًا تهدد البلاد بالدخول في دائرة الفوضى.

ويتحمل رأس النظام، مسئولية هذا المسار المتدهور الذي لم يخل في لحظة واحدة من المفردات المعتادة لخطاب الحزب الوطني والحكومة، حيث

القول بأن ما يحدث في البلاد هو مؤامرة خارجية، وتوظيف فزاعة الإخوان المسلمين والتيار الإسلامي بصفة عامة، وادعاء الحرص بمفرده على أمن ومصلحة البلاد، والتلويح بأن استمرار استقرار البلاد مرهون ببقائه وببقاء الرئيس، والتلويح بالانهيار الاقتصادي من جراء تداعيات الثورة، ناسين تداعيات الفساد التي تآكلت معه عناصر قدرة وقوة الأمة المادية والمعنوية، وأخيرًا التلويح بالتهديدات الخارجية لأمن البلاد.

وهكذا، في الوقت نفسه الذي أخذت الثورة في التصاعد، اتسمت استجابات النظام، بالعنف أولا وبالتآمر ثانيًا، ثم بردود الفعل السياسية البطيئة والشكلية اللاهثة للالتفاف على الثورة؛ أملا في تصفيتها، الأمر الذي أكد شرعية مطالب الثورة ودعّم من التمسك بالمطلب الأول وهو تنحي الرئيس مبارك.

وحين تلاعب النظام بورقة الشرعية الدستورية، التقط الجميع هذه الورقة، ما عدا الثوار في ميدان التحرير الذين ظلوا على صمودهم بل وتصاعدها، ففي حين ظلوا يقولون ارحل، انبرت النخب التقليدية الفكرية والسياسية والحزبية في النقاش حول فرص وخسائر رحيل مبارك في سبتمبر ٢٠١١ أم تنحيه فورًا أم تفويض سلطاته لنائب الرئيس، وحول بدائل التعديل الدستوري أو التغيير الدستوري، وحول الأجندة الزمنية لانتخابات رئاسية وبرلمانية، ناسين أو متناسين أن صوت الثورة ظل ثابتًا «ارحل» حتى فرض نفسه وأكد مصداقية مطلبه. بعبارة أخرى، ظل زخم الثورة هو صانع

الحدث ومحفز تطورات الثورة. فإذا كانت القوى السياسية، الحزبية وغيرها أعلنت مساندتها لمطالب ثورة الشباب، فلقد حاولت أن تكون ذراعها السياسي (التقليدي) الذي تحمل مطالبها ويسعى إلى تنفيذها بالحوار مع النظام، ولكن تفاوتت أوزانها، وتفاوتت مواقفها في بعض الأحيان سواء تجاه مطالب الثورة أو تجاه مناورات النظام السياسي، وهو الأمر الذي حدّ من فاعلية هذه القوى كآلية، ومن مصداقيتها في نظر الشباب.

وفي الوقت نفسه، وبقدر ما اندمجت فئات الشعب في الثورة، بقدر ما اختفى ائتلاف القوى المعارضة المنظمة، وهذه القوى حين وقعت في فخ الحوار الوطني أثبتت عدم فهمها لطبيعة ثورة الشباب أو من احتضنهم، فلم تفهم أن هناك نخبًا جديدة تتشكل وروحًا وعقلا تتجاوز الأنماط التقليدية لممارسة السلطة، وتتجاوز الأنماط التقليدية للتشكيلات الحزبية القائمة. وفي حين وقعت هذه القوى في هذا الفخ، فإن القوة السياسية التي فرضت الانتباه إلى ما حاق بسلوكها من تغير، هي(الإخوان المسلمون)، فبدلا من أن تصبح الجماعة فزاعة تشتت الجهود وتفتت الصفوف -كما أراد النظام- ظل الإخوان لآخر لحظة يؤكدون أن الثورة ثورة الشباب وأنهم مجرد فصيل يساند مطالبها، وأن شباب الإخوان يشاركون كغيرهم من شباب مصر، وخلال الحوار الوطني أكد الإخوان عدم ترشحهم لانتخابات رئاسية مقبلة وعدم سعيهم للسلطة بقدر ما يسعون إلى خدمة شعب مصر وثورته وإنجاحها.

ولا يستطيع أحد أن ينكر الدور الجهادي الذي ساند به شباب الإخوان إخوانهم في ثورة مصر فى ميدان التحرير يوم الهجوم البربري على الميدان في ٢/ ٢، فلقد تجلت في هذا اليوم لحظة تاريخية عن ماهية توزيع الأدوار وتكاملها (كلٌ لما يُسر له) فكان الإبداع الاستراتيجي والتنفيذي للدفاع عن الثورة من ميدان التحرير إبداعًا مشتركًا متكاملا، سواء من العقول أو السواعد أو الأبدان، بل والأرواح والإيمان ولو من مرجعيات متنوعة: دينية، عقيدية، وطنية...

(ج) الجيش: ماذا كان دوره منذ أن قبل أمر الرئيس في ٢٨/ ١، وحتى انسحب الرئيس:

تتعدد التحليلات والمعلومات ولكن تتوافق حول خمسة أمور:

- رفض الجيش ضرب المعتصمين يوم ٣٠/ ١.
- تواطؤ حين وقف على الحياد السلبي وخاصةً عند المتحف في يوم ٢/ ٢/ ٢٠١١.
- تزايد التململ داخله والضغط من الداخل، واحتمال تعرضه لضغوط خارجية.
- رهان على استمرار ضغط الشعب ليصل إلى خلع مبارك، بدلا من أن يتدخل الجيش بانقلاب؟ ضغط الجيش على مبارك حتى قبوله التخلي؟
- تأكيده تمسكه بالشرعية التي يريدها الشعب.

(د) وأخيرًا، من عبقريات الثورة المصرية، أن الخارجي لم يكن حاضراً في مطالبها المعلنة، ولكنه كان بالطبع حاضراً في دوافعها، حيث لقى نظام مبارك المستبد كل أنماط المساندة من الخارج والتي أطالت في عمره الافتراضي، كما أن سياسات النظام الخارجي كانت من أهم مصادر عدم الرضاء عنه وفقدانه لشرعيته.

الجدير بالملاحظة، أنه كان لهذا الخارج موضعه من مفردات خطاب النظام حين التلاعب بالثورة، ولكنه موضع متناقض. ففي الوقت نفسه الذي رفع فيه النظام ورقة التدخلات الخارجية لتحريك الثورة، فلقد تراوح الاتهام الضمني ما بين اتهام الضغط الأمريكي واتهام المؤامرة الإيرانية وحزب الله، وزاد من التناقض وضوحًا أنه اقترن برفع فزاعة الإخوان المسلمين، فهل من المعقول أن تريد الولايات المتحدة إعطاء فرصة للإخوان، أم أن الخطابات الأمريكية المتأرجحة والمتسمة بالمعايير المزدوجة في الموقف بين النظام والثورة، تلعب لعبتها المعتادة بين الشعب والنظام في الوقت نفسه، وحتى تتضح الصورة؟

فلقد أصاب المشهد الثوري كل النظم الغربية بالارتباك، تلك التي طالما راهنت على النظم في المنطقة حفاظًا على استقرار الأوضاع، وهو الاستقرار الهش المحقق للمصالح الغربية والإسرائيلية بالأساس. كما أن هذه النظم الغربية طالما راهنت على الإصلاح السياسي التدريجي السلمي مستبعدة ثورات الشعوب.

وأخذًا في الاعتبار، غير المعلن حتى الآن عن الأدوار والمواقف الخارجية من الثورة المصرية، وبدون استدعاء نظرية المؤامرة، وتأكيداً للمنطلقات الوطنية لهذه الثورة، وبالرغم من غياب الخارج من خطابات الثورة حتى ١١/ ٢، فإنه لا يمكن أن تسقط تأثيرات الخارج. ولذا؛ لا بد من بلورة رؤية متكاملة، تستند إلى معلومات وإلى خبرات سابقة على الثورة، ويكفى الآن الإشارة إلى الدلالات الحضارية للبعد الخارجي فيما سيلي من خلاصات.

٤- ومن استقراء مراحل هذا المشهد الكلي أفقيًا ومفاصله رأسيًا، نستطيع أن نستنتج مجموعة من الدلالات الحضارية التالية:

(أ) امتداد المدى الزمني لثورة مصر ميدان التحرير، أفرز الكثير من الدلالات الإيمانية الحضارية: إيمان ولطف من الله، فبالرغم من مصاب الشهادة التي حظى بها عدد كبير من الثوار في أيام الثورة الأولى نتيجة عنف الشرطة المنظم، إلا أنهم استطاعوا تحدي الجهاز الأمني وإرباكه واختراق صفوفه وإجهاده على نحو مثل عاملا من عوامل تفكيكه بسرعة حين صدرت أوامر الخيانة العظمى بالانسحاب.

فالنصر الأول كان في التصدي للجهاز الذي كان يبدو عاتيًا ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤١].

ومع كل وهن وشك، كان يتبدى نصر الله ومؤازرته فتتجدد القوة والعزيمة. فكان ثبات وإيمان وصمود الثوار أمام الهجوم البربري في

٢/ ٢ براعة استراتيجية من ناحية، ولكن أيضًا لطف من الله ونصر منه والحمد لله، تأكيداً لمعنى الإيمان الحضاري الفاعل الذي يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله ويُفَعِّل قيم الثبات والصبر والمرابطة في مقابل حسابات موازين القوى التقليدية (التي طغت على عقل وسلوك النظام المستبد وهو يقاوم الثورة).

فيتحقق النصر: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وبعد القبض على وائل غنيم منذ بداية الثورة، وبالرغم من عدم معايشته للثورة التي ساهم في تفجيرها، فإن الإفراج عنه في مرحلة حرجة وحساسة منها -قبل جمعة الصمود بيومين وعند الدعوة إلى المليونية المستمرة- جعل خطابه إلى الناس من التليفزيون عاملا محفزاً لكل من ظل يتردد حتى الآن في الثقة بثورة الشباب.

(ب) بالنظر إلى روافد شباب الثورة وروافد الشعب المصري، وآلياتها وأدواتها وخطاباتها، يمكن استنتاج دلالات حضارية أخرى: (السلمية، الجهادية، العمرانية، التدرجية)- (التعددية، التعارفية، الحوارية، التكاملية)- (التضامنية، التكافلية، التعاونية)، والمؤشرات التالية تبرز هذه الدلالات:

١- العلاقة بين الفكري والتنفيذي والعملي ما قبل الثورة، وخلالها، وما بعد مبارك.

فما قبل الثورة: برامج إعداد متناثرة ومتكاملة ودون تنسيق، صبت جميعها في وعاء الثورة، واستمرت روافدها تحقق تراكم تدريجي، فالشباب تربوا في قنوات رحبة سمحة حوارية، وتجسد ذلك خلال اندلاع الثورة.

٢- **روافد متعددة:** اجتماعية، مهنية، فكرية، وسياسية.

دوافع موحدة..

أهداف موحدة..

آليات متشابهة: جديدة، غير تقليدية، مبادرة واستجابة وسرعة وعملية في العمل المدني.

٣- إذًا نخبة جديدة، غير حزبية، غير تقليدية، ابتدعت وسائلها وطورتها، تراكمت خبراتها قبل ٢٥/ ٢.

٤- إذًا، الثورة ليست مفاجئة إلا في تلقائية اندلاعها الكثيف، وحماسة الانضمام إليها من روافد أخرى في المجتمع، غير نخبوية وتقليدية.

٥- نخب جديدة، منظومة قيم موحدة، الآليات إبداعية التفت في ميدان التحرير وحققت، عبر تطور أنضجها، ليس هدفها الأول فقط ولكن حرث التربة الراكدة، على نحوٍ يمهد للعمل من أجل تحقيق بقية الأهداف.

٦- تحقيق بقية الأهداف ليس في ظل «ما بعد الثورة» ولكن ما بعد مبارك؛ لأن الثورة تظل روحها سارية ولا بد وأن تتأسس هذه الروح على ضوء: تحديد النموذج، منظومة القيم، البرامج والاستراتيجية.

٧- روح ثورية على صعيد المجالات والقطاعات المختلفة: نخب جديدة.

قيم جديدة..

آليات جديدة..

النخب: المدنية من روافد مختلفة، لا تحكم للأيديولوجية ولكن تصب في رافد واحد لتحقيق المصالح الوطنية.

منظومة القيم: الإنسانية الحضارية والعمرانية في مقابل المادية الصراعية الإقصائية الاستقطابية لصالح فئة واحدة.

الآليات: الإبداعية التي أثمرت قبل وبعد، ولكن في نطاق استراتيجيات تحدد المنطلقات والبرامج وتعي التحديات.

٨- **الأولويات الراهنة على ضوء التحديات:**

- العملية وحدها لا تكفي، ولكن حيوية الفكر والمنطلقات.

- **التحديات:**

من الرومانسية إلى المأسسة.

من التآلف والاندماج إلى الاختلاف.

بقايا النظام القديم.

تدخلات القوى الخارجية.

المطالب الفئوية.

إعادة بناء الأطر السياسية والأمنية.

(المرجعيات: كيف تتفاعل).

- **الأولويات**: على ضوء منظومة القيم الإنسانية العمرانية، ومن أجل منع سرقة الثورة.

- **المجالات:**

- التنظيمات والنقابات والاتحادات:

لملمة شمل، ولكن مأسسة روح الثورة، وتحجيم فلول النظام السابق الاستغلالية.

- الاقتصاد:

- سبل دعم المضارين.

- سبل دعم الادخار والاستثمار المحلي.

- سبل دعم الإنتاج المحلي.

- الرأي العام: الخطاب في الإعلام.

- التثقيف والتوعية المستمرة للشباب على روح الثورة: منظومة قيمها وآلياتها.

(ج) وعن الدلالات الحضارية للبعد الخارجي من الثورة، يمكن الإشارة إلى الملاحظات التالية:

- راقبت الشعوب الغربية وقائع الثورة باهتمام كبير، وأبدت قطاعات كبيرة من الرأي العام الغربي تقديراً واحترامًا لنموذج هذه الثورة وما سيكون لها من تأثيرات، إلا أنها مازالت تحرص على دراستها واحتمالات تطورها وكيفية التعامل معها.

- الشعوب العربية والإسلامية لم تكتف بالمراقبة والتأييد، ولكن انتقلت الثورة إلى الجوار الحضاري العربي (اليمن، البحرين، ليبيا، الجزائر، المغرب، بل وفي العراق) بدرجات مختلفة. وكذلك إلى الجوار الحضاري الإسلامي (إيران). والمراقبة الدقيقة تساعد على استكشاف قدر التشابه فيما بين نمط المقاومة والثورة ضد النظم، وفيما بين نمط مقاومة النظم لثورات شعوبها.

- اعتدنا التأريخ للتطورات في عالمنا بتواريخ غيرنا، مثلا نهاية الحرب الباردة، الحادي عشر من سبتمبر، ومما لا شك فيه أننا سنبدأ التاريخ السياسي والاجتماعي لعالمنا بتواريخنا الوطنية والقومية، فنقول ما قبل ثورة ٢٥/ ١ وما بعدها سواء للتاريخ الداخلي أو الإقليمي أو الدولي. وفي ذلك تأكيد لما سبق ونادى به كبار مفكرينا -أمثال طارق البشري

ومحمد عمارة- من التأريخ مثلا بالانتفاضة الأولى والثانية أو الاحتلال الأمريكي للعراق..

وهكذا، ستعود مصر بإذن الله إلى قلب التفاعلات العربية والإسلامية والعالمية؛ استناداً إلى ما حققته ثورتها حتى الآن، وانطلاقًا -بإذن الله- مما ستتابع الثورة تحقيقه من تغيير حضاري بشر به نموذجها خلال الأيام الثمانية عشر الأولى من عمرها، ذلك النموذج الذي استقرأنا خصائصه وحاولنا أن نستنبط ملامحه كنموذج ثوري وحضاري.

وأخيرًا، إن فهم المشهد الثوري كمشهد حضاري وتحديد ملامح نموذجه ليس غاية في حد ذاته أو ترفًا علميًا، أو اختباراً لمنظورات، ولكنه ذو حاجة عملية وضرورية لفهم أمور مهمة: كيف يمكن أن تستمر، وتواجه التحديات عبر ما سُمى المرحلة الانتقالية وصولا إلى تحقيق أهدافها كاملة؟ وكيف أن طبيعتها - لخصوصيتها في إنجاح الثورة- لا بد وأن تستمر لتحقيق أهدافها وباستخدام أساليب جديدة أيضًا للاستجابة للتهديدات بعد مبارك.

إذًا، هل المشهد الثوري الثاني (المرحلة الانتقالية) سيدعم من الدلالات الحضارية للأول، وكيف يمكن أن نقرأه؟

الحمد لله

القاهرة، الأحد ٢٠/ ٢/ ٢٠١١م

●●●